الرسم القرآني ولهجة قريش

م.د . نجم عبد صكر

ملخص البحث

تناول البحث مرحلة ظهور حركة التدوين بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) باكثر من قرن وتأثيرها في مجالات الحياة كافة بعد ان طغت الاحاديث الموضوعة عن رسول الله وتناول أيضا رسم المصحف الشريف الذي ظهر في عهد الخليفة عثمان بن عفان وما أصله وعلاقته بلهجة قريش؟ وهل هذه اللهجة (اللغة) هي التي نزل بها القران الكريم او هي الاخرى من الموضوعات التي دوّنت في تلك المرحلة؟

ABSTRACT

The research dealt with the stage of the emergence of the blogging movement after the death of the Messenger (may God bless him and his family) in more than a century and its impact on all areas of life after the hadiths about the Messenger of God dominated. ? Is this dialect (language) the one in which the Holy Qur'an was revealed, Or is it the other that falsely placed on the Messenger and wrote at that stage?

تمهيد ..

تصدى المسلمون لكتابة التأريخ ومنه تدوين الأحاديث النبوية الشريفة حتى مجيء الحاكم الأموي عمر بن عبد العزيز الذي حسم أمر كتابة الحديث وتدوينه والسماح به سنة (١٠٠) من الهجرة النبوية الشريفة. أي في أواخر القرن الثاني الهجري إلى أوائل القرن الثالث الهجري.

وتبع هذه المرحلة من التدوين مرحلة الجمع والتأليف بين الأحاديث والبحث عن الرواة، وهنا حدث مالم يتوقعه أحد إذ تم تسجيل أكثر من ستة عشر ألف راوٍ للأحاديث نقلوا عن مثلهم وأكثر. ومعلوم أنّ بعد وفاة رسول اللّه «صلى اللّه عليه وآله وسلم» عاشت الأمة مالم يمرّ به غيرها من الأمم من اضطرابات اقتصادية واجتماعية وسياسية، ناهيك عن الصراع الداخلي بدءا من تسنم أبي بكر الصديق السلطة مروراً بمعركة الجمل وصفين والخوارج حيث وضع كلّ فريق أحاديث وروايات أفشيت على مسامع الناس ما يؤيد حزب هذا الفريق او ويدعم حرب ذاك الحزب أو يقوي سلطته وأيضا ما ترتب على تولي معاوية بن أبي سفيان السلطة بعد مقتل الامام علي (عليه السلام) حتى سقوط الدولة الأموية سنة (١٣٢) للهجرة النبوية الشريفة[١].وقد نقل لنا البخاري كما يقول الألباني آلاف الرواة الذين هم غير معروفين[٢]، إذ تساهل الكثير من هؤلاء في نقل تلك الأحاديث رُبما كانت القصدية واضحة في الشهرة أو المال أو التقرب والزلفى إلى سلطان أو أمير، الأمر الذي لا يخفى تأثير من بيده السلطة والمال على البعض من هؤلاء الرواة[٣]. وغطت تلك الأحاديث في زمن الدولة الأموية جوانب الحياة كلّها سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية، بل حتى في بعض الأحايين يطلب من راو أن يضع له حديثا في بيع وشراء فاكهة أو حيوانٍ ما، أو دارٍ خربة او بضاعة لكي يسهل بيعها ذلك لأنّهم علموا أنّ بضاعتهم ستبقى كاسدة إن لم يُسند لها حديث من رسول اللّه «صلى اللّه عليه وآله وسلم» الذي كان وما زال من القدسية بمكان عند المسلمين. و«لم تكن حركة الوضع – وضع الأحاديث المكذوبة – على الرسول الكريم حركة ارتجالية عفوية في كلّ الأحايين، إنّما تطورت إلى حركة مدروسة هادفة، وخطة شاملة لها خطرها وآثارها»[٤]، إذ أزاحت هذه الموضوعات من الأحاديث حقائق وجدانية عند السلف لتستقر في أذهان الخلف من خلال ترديدها بمرور الأيام. والأسباب كثيرة رُبما أحدها وأقواها أنّ امتزاج الموالي (الأسرى) الذين كانوا بالعشرات بالمجتمع ومن ثم تحريرهم من قبل مواليهم من الأسباب التي حاول هؤلاء العيش بها والتكسب عن طريق وضع الأحاديث، ومن ثم استقر في الكتب لأنّه أصبح من الحقائق من خلال تكراره وانتشاره ومن ثم ارتكازه في أذهان المسلمين[٥].

حركة التدوين العكسية :

بدأت حركة التدوين العكسية نهاية القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس إذ استهلها أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) بالمدح والثناء على قبيلة النبي – قريش– وعلى لهجتها بقوله: «إنّ اللّه جل ثناؤه اختارهم – قريش– من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبيَّ الرحمة محمداً – صلى اللّه عَلَيْهِ وآله وسلم– فجعل قُريشاً قُطَّان حَرَمِه، وجيران بيته الحرام، ووُلاتَهُ...»[٦]. وبعد أن أحسّ وبعض العلماء بالحاجة الماسة للدفاع عن الدين الإسلامي ومحاولة منهم لاظهار قدسية الرسول التي تصور هؤلاء أنّ قدسيته لا يمكن أن تنفك عن قدسية عشيرته سواء الأقربون منهم أو الأبعدون بالمظهر الذي تصوروا أنّه لابدّ أن يكونوا مقدسين في كلّ آن وزمان، لذلك تصدى هؤلاء من دون أن يعيَ بعضهم مخاطر ذلك الدفاع الذي حمل في طياته الغث والسمين. والحق أن العاطفة التي لا تستند إلى دليل علمي وحقائق تاريخية فمضرتها تكون أكثر من نفعها، ومن ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر حديث: «أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنّي من قريش»[٧]. ولمن تأمّل هذا الحديث الموضوع سيجد فيه أنّه «صلى اللّه عليه وآله وسلم»،– وحاشاه– يفخر بنفسه من جهة، ومن جهة أُخرى يذمّ عشيرته (قريش)، –

مع أنّها ليست منزهة– لكن الأمر لا يعدو كونه خارجا عما عُرف عنه وعن أخلاقه، ولا من أدبه وشيمته، ولا وُجد مثل هذا اللون من عبق سيرته في مدح نفسه وذمّ الآخرين. وهذا الحديث هو أشبه ما يكون بقول النابغة الذبياني (ت ١٨ق.هـ):

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سيوفهم ... بهنّ فلولٌ من قراع الكتائب[٨].

وتظهر لك تناقضات أخرى في هذا الحديث «أنا أفصح العرب بَيْدَ أنّي من قريش، وأنّي نشأْتُ في بني سعد بن بكر» يقول أصحاب السير والتأريخ أنه «صلى اللّه عليه وآله وسلم» كان مُسْتَرْضعاً في بني سعد، وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء: أفصحُ العرب عُلْيا هَوازن وسُفْلَى تميم، وفي شرح هذا الحديث يوجب طول الكلام، والعدول عن المرام، لا يحتمله هذا المقام[٩] ومن الموضوعات التي تناقض بعضها ببعض هو زعم بعضهم أنّ معاوية كان أحد كتّاب الوحي وأنّ الرسول قال له: «ألق الدواة وحرّف القلم، وانصب الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم، وحسن اللّه، ومدّ الرحمن، وجود الرحيم، وضع قلمك على أذنك اليسرى، فإنه أذكر لك»[١٠]، على أننا لا نعدم من تحرّج في ذلك وكان ورعاً متديناً يخشى المساس بقدسية الرسول «صلى اللّه عليه وآله وسلم» وحَذِراً في رواية الأحاديث الضعيفة وتجنب الرواة المدلسين والكذابين ومن يُشك في روايته أو أنه يوالي فريقا ضد آخر[١١]. ومع ذلك دونت آلاف الأحاديث الموضوعة في كلّ اتجاهات الحياة، مع أنّ بعض العلماء لاسيما في اللغة العربية منع الاحتجاج بها وقد يكون معذورا وحجته أنّها نقلت بالمعنى من دون اللفظ، والحق أنّه لا يجانب الصواب بقوله هذا، وقد يكون هو الطريق الأسلم لبعضهم من بطش السلطة أو الاصطدام بالعوام، لأنّ بعض الأحاديث نُقلَ على شكل حكاية لا يُعرف راويها ولا يُعرف ما فيها من سلبيات وتناقضات كما في حديث لغة الضاد لا سيّما في مسائل النحو[١٢].هذه الأحاديث الكثيرة التي نقلت عن النبي «صلى اللّه عليه واله وسلم» بعضها نفاه العلماء بصرامة لأنّه يترتب عليه أثر فقهي وآخر عَقَدي، وبعضها لم ينفوه وسكتوا عنه، مما انسحب الأمر على القرآن الكريم وتدافعت في أذهان المسلمين عشرات الأسئلة، هل القرآن الكريم طالته تلك التحريفات أو سَلِم منها؟ والجواب: اجماع المسلمين أنّ القرآن الكريم ما بين الدفتين الذي بين أيدينا لم تعبث به يدّ التحريف لا من قريب ولا من بعيد لكن ما طالته يد العبث والتحريف هو رسمه وهو ما سنتناوله في هذا البحث إن شاء اللّه تعالى. والسؤال هو: هل هذا الرسم الذي بين أيدينا هو الذي كتبه رسول اللّه «صلى اللّه عليه واله»؟ أو الذي أقرّه وكتبه من بعده صحابته؟ أو الأمر تغيّر بمرور الزمان وتوالي الحدثان.

احتمالان لا ثالث لهما فإن كان الأول فهو أمر توقيفي لكنه يحتاج إلى سند ودليل يوازي تواتر القرآن الكريم ويساويه، وإن كان الثاني فالأمر يحتمل الخطأ والصواب.والاحتمالان يحتاجان إلى الرجوع إلى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان، لأنّ القرآن ظهر في النصف الثاني من حكمه، أي بعد حوالي عشرين سنة من وفاة الرسول «صلى اللّه عليه وآله سلم»، وكان ذلك بسبب الخلاف بين القوى الإسلامية في الشام والعراق حول الطريقة الصحيحة لقراءة القرآن في الصلوات الجهرية أثناء حملة عسكرية إلى أرمينيا وأذربيجان، قادها الصحابي حذيفة بن اليمان فقد كتب قائد الحملة آنذاك حُذيفة هذه المشكلة إلى الخليفة عثمان طالبا منه أن يحول بين الناس وبين الاختلاف في قراءة القرآن، من خلال رسمه أو بالأحرى تعدد ما فيه من قراءات وبحسب ما رُسم وكلّ مصحف عند كثير من الصحابة، فطلب عثمان صحف القرآن من حفصة بنت عمر وطلب من زيد بن ثابت ومعه ثلاثة آخرين من حفّاظ مكة جمع القرآن ونسخه، شرط ذلك أن يكون بلهجة قريش، وإن اختلفوا فالقول ما قال به زيد بن ثابت، كما تقول الرواية فلما انتهى النسخ احتفظ عثمان بنسخة في المدينة المنورة وأرسل نسخة لكلّ من ولاته في الكوفة والبصرة ودمشق، كما أرسل نسخة – وفقا لبعض الروايات– إلى مكة المكرمة مع تعليمات بإتلاف كلّ ما عدا نسخته هذه، وبالفعل تم تنفيذ تعليماته إلا في الكوفة إذ رفض ابن مسعود وأتباعه تنفيذ ذلك[١٣].وهنا يرد سؤال بأنّ الإرسال كان للولاة فلماذا أُدخل ابن مسعود في الرواية وأنّه رفض تنفيذ الأمر؟ ثم لماذا التركيز على ابن مسعود في خلافة عمر بن الخطاب، ومن ثم خلافة عثمان؟ ثم لماذا جمع النسخ فقط من حفصة بنت عمر؟ أليس الاولى جمعها من جميع من كانت عنده من قراء المسلمين وحفظتهم؟على أيّ حال، الروايات مختلفة في عدد من حددهم عثمان ومتضاربة في من نسخ القرآن كما أنّها مختلفة في المدن التي أرسل إليها المصحف الموحد[١٤]. وهذه الرواية الثانية عن جمع القرآن (في عهد عثمان) تثير كالرواية الأولى (جمع القرآن في عهد أبى بكر) بعض الخلافات التأريخية، بل وهاتين الروايتان لم يعطيا اجابة شافية امام الكم الهائل من الاسئلة عن جمع القرآن الكريم وكيف ومتى؟ ويقبل الدارسون الغربيون الآن ما يقول به شفالي (فى كتابه عن تاريخ القرآن: ٥٧ – ٦٢)[١٥]. من أنّ القرآن الكريم لم ينزل بلهجة قريش. والباحث يضيف إلى ذلك أنّ هذه الخلافات تجعلنا أمام دليل قوي أن ليست هناك قراءات سبعية أو عشرية أو أقل أو أكثر، لأن الخليفة الثالث قد جمع القرآن الكريم بنسخة واحدة وأحرق بقية المصاحف بعد أن استنسخ منها نسخا وجهها إلى الآفاق في نسخة واحدة[١٦]. وهذه الرواية ما يؤسف له هي الأخرى تتعارض والأدلة التي بين أيدينا وربما يأتي بيانها في موضع آخر في غير هذا البحث.وبعد اكتمال نسخ القرآن الكريم وارساله إلى الآفاق يبدو أنّ الخليفة

أحس بما يمليه عليه دينه وأنّ هناك تحسينات املائية ينبغي اجراؤها والأخذ بها، إذ قال: «إني أرى في المصحف لحناً ستصلحه العرب بألسنتها!»[١٧]. وهذا دليل ثان على أنّ الرسم القرآني كان واحدا وان رواية القراءات مخرومة هي الاخرى ولا وجود لها، وتنتفي حاجتها وأنّها أمر توقيفي أمر بها الرسول «صلى اللّه عليه وآله وسلم» للتخفيف عن المسلمين.والحق، إنّ هذه الملاحن والتصحيفات وغيرها في هذا المقام كلّها من قبيل ما يتعلق بطريقة الرسم التي لا بدّ أن ينالها التغيير على اختلاف البيئات والعصور «أما النص القرآني نفسه فلا يتغير فيه شيء؛ لأنّه مجموع من صدور العلماء، يأخذه بعضهم عن بعض بالتلقي والمشافهة وطرق التواتر اليقيني»[١٨]. ولنبدأ أولا بالرسم ما المقصود به، وهل هو أمر توقيفي أو قياسي ؟ ثم هل هناك علاقة بين قدسية الرسول وقدسية عشيرته أو هما أمر واحد لا ينفك أحدهما عن الآخر؟ أو هما أمران لا علاقة لأحدهما بالآخر؟ وهل مدح عشيرته هو مدح له «صلى اللّه عليه واله»، أو انتقادها أو النيل منها وانتقاصها هي اساءة له «صلى اللّه عليه وآله» أو لا ؟ وهل الأمر يمسه من قريب أو من بعيد أو الأمر لا هذا ولا ذاك؟ وكثير من الأسئلة التي يمكن الإجابة عليها وإن كان على وجه التنبيه إليها والاختصار فيها، لأنّ الأمر يحتاج إلى إسهاب على غير المختصين بهذا المجال.وقد علّل كثير من العلماء ظواهر الرسم بعللّ لغوية أو نحوية أو بيانية، وبينوا أوجه بعض أشكال الرسم بيانياً. يقول ابن قتيبة: «وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها»[١٩]. وعلى هذا الأساس، لما كتب الصحابة المصحف زمن عثمان اختلفوا في كتابة "التابوت" فقال زيد: "التابوه" وقال النفر القرشيون "التابوت"، وترافعوا إلى عثمان فقال: اكتبوا "التابوت" فإنما أنزل القرآن على لسان قريش[٢٠]. ولنترك ما في الرواية من علات ونتركها على ما هي عليه، ونعرّف الرسم القرآني.

الرسم: لغة : هو الأثر، والمراد به هنا مرسوم القرآن، أعني حروفه المرسومة، ومراده بأصل الرسم ما يعتمد في كيفياته عليه، ويرجع عند اختلاف القارئ إليه[٢١]. هذا فيما قلنا: إنّه مصدر لا اسم وإن قلنا بالاسم فيكون على صيغة المفعول، فمعناه: (المرسوم من القرآن الكريم) أي هذا المكتوب من القرآن الكريم.

أمّا الرسم اصطلاحا:هو علم تعرف به مخالفات خط المصحف العثماني لأصول الرسم القياسي.والرسم القياسي: هو ما طابق فيه الخط اللفظ. والأول اصطلاحي: وهو ما خالفه بزيادة أو حذف أو بدل أو فصل أو وصل... والاصطلاحي وضعت له قوانين وأصول مذكورة في كتب الهجاء العربي، أفرده بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين. مثل الداني، وأبي داود، والشاطبي، وابن مهران وغيرهم، وبعضهم ضمّنه في مباحث كـ(الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٤٦٩)، و(البرهان للزركشي) وغيرهما. وقسّم العلماء الرسم إلى قسمين: الأول: هو الرسم الاصطلاحي. والثاني: القياسي: واطلق عليه ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) التوفيقي وسُميّ بالاصطلاحي نسبة لاصطلاح الصحابة[٢٢].ويُرادف الرسم: الخط، والكتابة، والزبر، والسطر، والرقم، والرشم بالشين المعجمة، وإن غلب الرسم بالسين المهملة في خط المصاحف.وموضوع الرسم: حروف المصاحف العثمانية من حيث الحذف، والزيادة، والإبدال، والفصل، والوصل، ونحو ذلك.وزعم بعض العلماء أنّ من فوائده تمييز ما وافق رسم المصاحف من القراءات، فيقبل، وما خالفه منها فيرد، حتى لو نقل وجه من القراءات متواتر ظاهر الوجه في العربية إلا أنه مخالف لرسم المصاحف، فإن كانت مخالفته من نوع المخالفات المسطورة في الفن قبلت القراءة، وإلّا رُدّت[٢٣].«وذلك لأنّ المعنى يختلف باختلاف القراءات، كقراءة: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً} [البقرة: ٢٢٢] بضم الميم وإسكان اللام، فإن معناها مغاير لقراءة مَن قرأ: ومَلِكاً كبيراً– بفتح الميم وكسر اللام. وكقراءة {حتى يَطْهُرْنَ} – بالتسكين، فإن معناها مغاير لقراءة مَن قرأ: يطهَّرن – بالتشديد، كما أنّ المعنى يختلف أيضاً باختلاف الرسم القرآني في المصحف، فمثلاً قوله تعالى: {أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً} [الملك: ٢٢] بوصل أمَّن، يغاير في المعنى: {أَمْ مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً} [النساء: ١٠٩] بفصلها، فإنّ المفصولة تفيد معنى بل دون الموصولة»[٢٤].وزعم فريق من المسلمين أنّ الرسم القرآني هو ما جاء به الصحابة، وذلك للتخفيف عن المشاكل التي واجهتهم وعدم ايجاد أجوبة لبعضها إلا أنّ عبد العزيز الدباغ (ت ١١٣٢هـ) ردّ بضرس قاطع أن ليس «للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النبي»[٢٥]. وهذا ما نقله عنه تلميذه ابن المبارك (ت ١١٥٥هـ) في كتابه "الإبريز". ونحن نتساءل إذا كان الأمر توقيفيا كما يقول ابن المبارك إذن انتفت حاجة الأحاديث التي وردت عن الخليفة الثاني والثالث ولا ضرورة للصحابة أن يجتمعوا ويكتبوا مصحفاً واحدا ويكون فيه الآمر الناهي زيد بن ثابت على الثلاثة الذين معه وأنّ اللغة الحاكمة هي لغة قريش؟وذهب ابن المبارك أيضا إلى القول بأنّه كما أنّ القرآن معجز كذلك رسمه أيضا معجز ! وتساءل «كيف تهتدي العقول إلى سر زيادة الألف في "مائة" دون "فئة"، وإلى سر زيادة الياء في {بِأَيِيْدٍ}، و{بِأَيِيْكُمْ}، أم كيف تتوصل إلى سر زيادة الألف في {سَعَوْا} بالحج، ونقصانها من {سَعَوْ} بسبأ؟ وإلى سر زيادتها في {عَتَوْا} في الاعراف، ونقصانها من {عَتَوْ} في الفرقان؟ وإلى سر زيادتها في {آمَنُوا}، وإسقاطها من {بَاؤُ، جَاؤُ، تَبُوؤُ، فَاؤُ} بالبقرة؟ وإلى سر زيادتها في {يَعْفُوَا الَّذِي}، ونقصانها من {يَعْفُوَ

عَنْهُمْ} في النساء؟ أم كيف تبلغ العقول إلى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض، كحذف الألف من {قُرْءَنا} في سورتي يوسف والزخرف، وإثباتها في سائر المواضع؟ وإثبات الألف بعد واو {سَمَواتٍ} في فصّلت وحذفها من غيرها، وإثبات الألف في {الْمِيعَادِ} مطلقا، وحذفها من الموضع الذي في الأنفال؟ وإثبات الألف في {سِرَاجا} حيثما وقع، وحذفه من موضع الفرقان؟ وكيف تتوصل إلى حذف بعض التاءات وربطها في بعض؟ فكل ذلك لأسرار إلهية، وأغراض نبوية»[٢٦].وقد عدّه من الأسرار الإلهية التي لا يهتدي إليها إلا ذو حظ عظيم وهي بمنزلة الألفاظ والحروف المقطعة التي في أوائل السور، فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن سار على هذا المنوال حذو القذة بالقذة. بل عدّها بعضهم بأنّها لغز من الألغاز لا يعلمه إلا الصحابة والراسخون في العلم.ويمكن أن نختصر ما قاله مفسرو القرآن، إذ يقول الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ): «والظاهر أنّ الصحابة– رضي اللّه عنهم– كانوا متقنين رسم المصحف، عارفين ما يقتضي أن يكتب، وما يقتضي ألا يكتب، وما يقتضي أن يوصل، وما يقتضي ألا يوصل، إلى غير ذلك، لكن خالفوا القواعد في بعض المواضع لحكمة»![٢٧].

أما الكتابة لغة: مصدر كتب، ومعناها الجمع، ومنها الكتيبة: وهي الطائفة من الجيش العظيم. ومنه سمّي الخطّ كتابة لجمع الحروف بعضها إلى بعض، كما سمّي خرز القربة كتابة لضمّ بعض الخرز إلى بعض[٢٨].

واصطلاحاً: فعلى الإطلاق الأولي تُعرَّف بالخط: وهو تصويرُ اللفظ برسم حروف هجائِه بتقدير الابتداء به والوقف عليه.

وعلى الإطلاق الثاني تُعرَّف بأنها: نقوش مخصوصة دالةٌ على الكلام دِلالة اللّسان على ما في الجَنَان الدالّ على ما في خارج الأعيان.

أمّا الكتابة في اصطلاح الأدباء: فهي تُطلق على صناعة الإنشاء التي رُبما كان القلم فيها بيدِ الكاتب أَمْضَى من الحُسام بيدِ الضارب، فيقولون: فلان شاعر، وذاك كاتب أي مُنشيء ناثر. وهذا المعنى هو الذي عناه الشاعر بقوله [من الطويل]:

وما كُلُّ مَن لاقَ اليَرَاع بكاتبٍ ... ولا كُلُّ مَن رَاشَ السِّهامَ بصَائِبِ[٢٩].

أصل الرسم (الخط):من الضروريات التي لابدّ لدارس العربية أن يعرف أصل الخط الذي دوّن به القرآن الكريم، وجمع مفرقا من الرقاع، لتفسير الظواهر التي واجهت العربية، وما أُشكل به علينا المستشرقون الغربيون لاسيما أصحاب النيات السيئة وضرورة ذلك هو معرفة الظواهر والتي منها دُوّن به القرآن الكريم ومع أنّها متضاربة لم يقف أيّ باحث على حدّ علمي على أصله أو يقدم وجهة نظر تستند إلى حقيقة علمية أو سند تأريخي. لكن ما يُشار إليه أنّ العلماء وقفوا منه موقفين: الأول: بأنه توقيفي على روايات ثلاث منها ما نسب لآدم أو لادريس أو لاسماعيل «عليهم السلام». والثاني: بأنّه اجتهاد من أشخاص، وهؤلاء الأشخاص قد يكونون من الانبار أو هم من العرب العاربة، وأسماؤهم أبجد، حطي، كلمن... وهم ملوك اليمن[٣٠]. وكلّ الدراسات الآن تُشير إلى أنّ الخط ليس له علاقة بالخط الحجازي، بل تستند إلى النظرية الحديثة بأنّ أصل الخط العربي حسب النقوش، ومنها نقش (النمّارة) في منطقة حوران في جنوب غرب سورية ومؤرخ بسنة (٢٢٣) من تأريخ بصرى الذي يبدأ بسنة ١٠٥ م، وهي السنة التي سقطت فيها مدينة بصرى بأيدي الرومان ويوافق سنة ٣٢٨ ميلادية وهو خط نبطي ذي ملامح آرامية نشأ وترعرع في الشام، ومن ثمَّ تحول إلى الانبار ومنه إلى الحيرة ويبدو أنه تحول بمرور الأيام إلى الحجاز الذي كتب به القرآن الكريم.وهذه الرواية هي الأخرى لم تصمد أمام التحقيق إلا اللّهم أن يقال: إنّ قوافل التجار القادمة من الشام مرت بالانبار والحيرة، ومن ثَمَّ تتجه إلى الجزيرة العربية.وقد علل الكتاب العرب أمثال ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) الرسم القرآني والرسم القياسي، في حين اختار ابن درستويه (ت ٣٤٧هـ) بتعدد النظم الكتابية آنذاك. وقال أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ): بتعدد الكتابة ووصلت إلى عدة أشكال: فخصص قسم للعروض، وآخر للمصحف، وثالث للكتّاب[٣١].

القرآن ولهجة قريش:

اللّهجة :هي «اللسانُ، وقد يُحرَّكُ. يقال: فلان فَصيح اللَهْجة واللَهَجَةِ. ولَهَّجْتُ القومَ تَلْهيجاً، إذا لَهَّنْتَهُمْ وسَلَّقْتَهُم»[٣٢].«واللَّهجة: من قولهم: هو فصيح اللَّهجة، وهو اللسان»[٣٣]. «وقولهم: هو فصيح اللَّهجة واللَّهجة: اللسان، بما ينطق به من الكلام. وسميت لهجة، لأن كلا يلهج بلغته وكلامه»[٣٤].واللَّهجة: طَرَفُ اللّسان، ويُقالُ: جَرْس الكلام، ويُقال: فصيح اللَّهْجَة [واللَّهَجة. وهي لغته التي جُبِلَ عليها فاعتادها، ونشأ عليها]، ورجلٌ مُلْهجٌ بكذا، أي: مُولَعٌ به[٣٥].وقال ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ): «وتقول: هذا رجل بيّن اللَهَجَةِ، واللَّهْجةُ لغة»[٣٦].وجاء في الحديث «مَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ، وَلَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ»[٣٧]. واللَّهجة اللسان وما ينطق به من الكلام. «وَقَالَ اللَّيْث: اللَّهْجَة يُقَال: طرَف اللّسان، وَيُقَال: جَرْس الْكَلَام، يُقَال: فلانٌ فَصِيحُ اللَّهْجة واللَّهَجَة، وَهِي لُغَتُه الَّتِي جُبِل عَلَيْهَا فاعتادها ونَشَأَ عَلَيْهَا، وَيُقَال: فلانٌ مُلهِجٌ بِهَذَا الْأَمر، أَي مُولَع بِهِ»[٣٨].

أمّا اللغة فهي: فعلة من لغوت؛ أي: تكلمت. وأصلها: لغوة، وقيل: لغي أو لغو . على وزن فعل . والهاء عوض. وجمعها: لغى، ولغات، ولغون[٣٩]. واللغة: اللسن والنطق، يقال: هذه لغتهم التي يلغون بها؛ أي: ينطقون. ينظر: لسان العرب، مادة (لغو). ولغوى الطير: أصواتها. لسان العرب، مادة (لغو). وهذه التعريفات متقاربة في الدلالة على اللغة اصطلاحا، وإن اختلفت تعبيرات العلماء عنها. ويلاحظ أنّ العرب أبعدت لفظة (لغة) من دلالتها التي عليها نحن اليوم. في حين أبعد القرآن الكريم (اللّهجة)، وأطلق (اللّسان) على دلالة اللفظة اليوم، وأطلق (اللغو) على الصوت أو الكلام الذي لا فائدة فيه وهو ما يصطلح عليه بالكلام المكروه {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلقُرءَانِ وَٱلغَواْ فِيهِ لَعَلَّكُم تَغلِبُونَ} [فصلت: ٢٦] وأطلقه أيضا على الكلام الباطل، قال الله: {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}[المؤمنون:٣]، وقال: {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاما}[الفرقان:٧٢]، أي: بالباطل[٤٠].أما تأريخ اللُّغة العربية قبل الإسلام فلم يجزم به العلماء، فقد يكون في القرنين الرابع أو الخامس الميلاديين أو لربما قبل ذلك التأريخ بزمن بعيد، ومردّ ذلك قلّة الآثار التي عثروا عليها والتي كان من الممكن أن تؤرخ لحياة اللُّغة العربية وتتبع ذلك تتبعا تأريخيا يضاف إلى ذلك أنّ اللُّغة العربية حملت معها ظواهر لغوية تدلّ على قدمها، كما حملت في الوقت نفسه ظواهر لغوية ناضجة تدلّ على حداثتها وجمعت بين ألفاظ خارجة من بيئة بدوية، وبين ظواهر وألفاظ خارجة من بيئة حضرية، والذي زاد الأمر تعقيداً أو صعوبة أنّ اللّهجات العربية التي جاءت من العصر الجاهلي والتي رواها الرواة وحملتها الكتب لا يمكن ايجاد آثارها في الشعر الجاهلي بشكل واضح، ولاسيّما شعر القبائل المروية عنها تلك اللّهجات[٤١]. وعليه فمن الصعوبة بمكان أن يحدد أيّ باحث بدايات اللغة العربية ومراحل نشوئها التي مرّت بها ومن ثمَّ نزول القرآن الكريم بها بسبب افتقارنا إلى تلك النصوص المدونة، وما وصل إلينا عنها هو روايات متضاربة و«القرآن الكريم هو الذي ثبتها وعرّفنا عليها، وبفضل كونه كتابا مقدسا أقبل العلماء على دراسة لغته، واضطروا على جمع قواعدها، فصارت لغتنا الفصحى، أما الشعر الجاهلي، فمع أنه أقدم عهدا من القرآن، لكنه ثبت ودوّن بعده، إذ لم يصل إلينا حتى الآن أي أثر منه مدون تدوينا جاهليا، ولهذا فالقرآن والشعر هما أقدم ما عندنا من نصوص بهذه العربية في النثر وفي النظم، ولولاهما لما كان في وسعنا الوقوف عليها»[٤٢].ومن المعلوم أنّ القرآن نزل بلغة العرب ولم ينزل بلغة قبيلة أو لهجة ما، بل في تحديه للعرب لم يخصص قبيلة ولا عشيرة ولا لهجة من العرب بعينها، وتحدى كلّ من نطق العربية أن يأتوا بمثله أو بسورة من سوره الصغار فعجزوا عن محاكاته وهم أئمة البلاغة والبيان[٤٣]. بل وتحداهم وهم الغاية في الفصاحة مرة بعد أخرى فعجزوا عن معارضته، وليس ثمة مانع منها، مع أن الكلام والفصاحة فيه شعر ونثر كان شغلهم الشاغل قبل البعثة وبعدها. وعقدوا لذلك الندوات في الأسواق العامة والمواسم السنوية بخطبهم وشعرهم، يتحدى بعضهم بعضا ويتحاكمون إلى كبرائهم. وكلّ من عارض القرآن من العرب كانوا شتى لا تجمعهم قبيلة أو عشيرة، بل ما يؤخذ على قريش التي قيل عنها: إنّ القرآن نزل بلغتها وأنهم أفصح من غيرهم بها، وقال عنها صاحب الرسالة «بيد أنّي من قريش» نراها قد رفعت الراية البيضاء بقول شيخهم الوليد الذي تحيّر فيه، إذ قال: «قد عرضته– القرآن– على رجز الشّعْر وهزجه وقريضه فَلم يُشبههُ وَلَيْسَ بِسحر وَلَا كهَانَة وَإِن عَلَيْهِ لطلاوة وَإِن لَهُ لحلاوة وَإِن أَسْفَله لمغدق وَإِن أَعْلَاهُ لمثمر»[٤٤]. وبدلا من الاذعان والاعتراف بالهزيمة أمام صاحب الرسالة اتجهت إلى اعلان الحرب عليه وعلى اتباعه.نزل القرآن الكريم بلغة عربية فصيحة مبينة لا تنتمي إلى لهجة أو لغة من لهجات العرب ولغاتها، قال تعالى: {لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلحِدُونَ إِلَيهِ أَعجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ} [النحل: ١٠٣]. وإنّ ما ورد من روايات وأحاديث تنسب نزول القرآن الكريم إلى لهجة قريش هو رأي يجافي الحقيقة ويبعد البحث عن الصواب، لأنّ هذا الرأي ظهر في الدولة الأُموية «ببروز النزاع الذي كان بين الأنصار والمهاجرين، أدّى إلى التعصب لقريش وإلى تقديمهم على كلّ العرب بحجة أنّ الرسول منهم، وأنه ولد بينهم، فيجب أن تكون لغته لغتهم، وأن يكون نزول الوحي بلسانهم، فهو رأي برز عن نوازع دينية وسياسية، مجّدت قريشاً، لأنّ في تمجيدهم تمجيد على رأيهم لرسالة الإسلام»[٤٥]. أمّا الروايات التي نسبت إلى الخليفة الثاني والثالث وفيها تمجيد للغة قريش وأنّها اللغة التي نزل بها القرآن فهي أيضا موضوعة، وليس فيها نص من غير الآحاد الذين نقلوها على أنّها هي الأفصح فهذا إن دلّ على شيء فيدلّ على عدم النص، وعدم النص هو نص في عدم أكمليتها في لغات العرب ولهجاتها.أمّا الذين أجهدوا أنفسهم في ايجاد عوامل سياسية، واقتصادية، ودينية على سيادة لغة قريش على باقي اللّغات، وأنّها اكتملت من خلال هذه العوامل، ومن ثَمَّ نزل القرآن الكريم بها «فهي عوامل وضعوها وضعاً وتخيلوها من غير سند أو دليل، أقاموها على تصورات أخذوها من أقوال لأهل الأخبار، لا يركن إليها، ولا يعتمد عليها»[٤٦]، بل المؤشرات تدلّ على أنّ تلك السيادة هي من الأوهام ومحاولة من البعض لتجافي السند والدليل فمن الناحية السياسية «أنّ أهل الجاهلية، كانوا يعيّرون قريشاً بأنّها لا تحسن القتال، وأنّها تجاري وتساير مَن غلب، وأنّها لا تخرج إلا بخفارة خفير، وبحلف حليف، وبحبلٍ من هذه الحبال التي عقدتها مع سادات القبائل. والروايات كثيرة منها أنّه لمّا سمع النعمان بن قبيصة بن حية الطائي ابن عم قبيصة بن إياس بن حية الطائي صاحب الحيرة،

بـ(سعد بن أبي وقاص)، سأل عنه، فقيل: رجل من قريش، فقال: أما إذا كان قرشياً فليس بشيء، واللّه لأجاهدنّه القتال، إنّما قريش عبيد من غلب، واللّه ما يمنعون خفيراً، ولا يخرجون من بلادهم إلا بخفير، فهل في هذا الكلام بعد – إن صح بالطبع– ما يشير إلى نفوذ سياسي»[٤٧].

هذا ما كان قبل نزول القرآن الكريم أو في اثنائه ويسند هذه الرواية ما أدلت به فاطمة بنت محمد (صلى اللّه عليه وآله) في مخاطبتها قريشاً بعد وفاة أبيها، إذ قالت «عليها السلام»: «وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ، مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أَذِلَّةً خاسِئِينَ، تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النّاسُ مِنْ حَوْلِكُم. فأَنْقَذَكُمُ اللّه تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صَلى اللّه عليه وآله بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي»[٤٨]. ومن كان ذليلا خاسئا يتخطفه الناس من حوله وهذه حاله فأنّى له بالسيادة السياسية التي بسببها سادت لغتهم؟

أمّا الجانب الاقتصادي، فقد كانوا في بحبوحة من العيش توسعت عليهم من خلال الهاشميين من بعد مرور الليالي والأيام التي ذاقوا فيها شراب الطرق وأكل الورق، كما قالت السيدة فاطمة بنت محمد «صلى اللّه عليها وعلى أبيها» وهو ما لا يقربه إلا من هم سقط المتاع ولا يستسيغه إلا الهمج الرِعاع. وليس كما يقول بعض الباحثين: «كانت مركزا تجارياً هاماً، تمر بها القوافل التجارية ذهابا وإيابا، حيث يجدون بها مكانا طيبا للراحة بعد مرحلة طويلة من السفر الشاق»[٤٩].

وأتمثل بقول ابْنُ الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ: [البحر الكامل] [٥٠]:

الرّائشون وليس يوجد رائش ... والقائلون هلمّ للأضياف

عمرو العلى هشم الثّريد لقومه ... ورجال مكّة مسنتون عجاف

فأهل مكة بالأزل في سنين عجاف، وأصابتهم سنو الْجُوع والقحط. والعجاف: من العجف، وَهُوَ الهزال والضعف. وَذَلِكَ أَن عمراً قد كان يهشم لهم الخبز ثريدا، فغلب هذا اللقب على اسمه حتى صار لا يُعرف إلا به. وليس لعبد شمس لقب كريم ولا اشتق له من صالح أعماله اسم شريف، ولم يكن لعبد شمس ابن يأخذ بضبعه ويرفع من قدره، ويزيد في ذكره[٥١].والأنكى من هذا أنّ المكارم الهاشمية تقابلها لأُمية مخازٍ «فأُمية كان مضعوفاً وصاحب عهار إذ تعرض لامرأة من بني زهرة فضربه أحدهم بالسيف، فلم يستطع قومه الثأر له. وابنه حرب كان مقيتا – أي تزوج امرأة أبيه أُمية في حياته– والمقيتون هم الذين ينكحون نساء آبائهم بعد موتهم. وأبو سفيان بن حرب ضُربت عنق حليفه أبي الأزيهر الدوسي الأزدي ولم يدرك به قودا»[٥٢].وفي تفسير سورة «ايلاف قريش» ما يغني عن كلّ ادّعاء وإن عدّها بعض المفسرين مفخرة لقريش لكن الانعام فيها والتأمل في مضمونها وحواشيها وفي سبب نزولها وما يحيط بها من سياق لهو خير دليل على ما عانته قريش من ويلات الغارات التي شُنت عليهم من بعض القبائل العربية وهم لا قبل لهم بها، فقد كانوا «مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ...» أذلة خاسئين يتخطفهم الناس من ديارهم ومساكنهم ومراعيهم[٥٣]. والسورة تذكرهم بأيامهم التي كانوا عليها نهزة الطامع وموطيء الأقدام بعدما أنزل اللّه تعالى عليهم سكينته وعبّد لهم الطريق إلى الشام واليمن صيفا وشتاء بعد أن كانوا في خوف من كان يمرُّ بهم من القبائل والأعداء وهم مغتربون ومعهم الأموال، وقد فسرها آخرون بقولهم: «إنّ هاشما جعل على رؤساء القبائل ضرائب يؤدونها إليه ليحمي بها أهل مكة، فإنّ ذؤبان العرب وصعاليك الأحياء وأصحاب الغارات وطلاب الطوائل كانوا لا يؤمنون على الحرم لا سيما وناس من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة ولا للشهر الحرام قدرا، مثل طيىء وخثعم وقضاعة وبعض بلحرث بن كعب، وكيفما كان الايلاف فإنّ هاشما كان القائم به دون غيره من إخوته»[٥٤].

وعلى الاجمال أراد سبحانه وتعالى من قريش تذكيرهم بآلائه ونعمه التي لا تحصى ومنها أنه سبحانه وتعالى {أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف} [قريش: ٤]، فكان الأولى بهم أن يعبدوا ربّ هذا البيت لا أن يعلنوا الحرب على من بعثه هاديا مهديا، {وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان}[الرحمن: ٦٠]إذن أين التي بها علت وارتفعت لغتها على سائر اللغات واللّهجات حتى اختارها اللّه تعالى معجزا لرسوله «صلى اللّه عليه وآله وسلم». أمّا الجانب الديني، فقد قال ابن فارس: «إنّ اللّه جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبيَّ الرحمة محمداً – صلى اللّه عَلَيْهِ وآله وسلم– فجعل قُريشاً قُطَّان حَرَمِه، وجيران بيته الحرام، ووُلاتَهُ. فكانت وُفود العرب من حُجّاجها وغيرهم يَفِدون إِلَى مكة للحج، ويتحاكمون إِلَى قريش فِي أُمورهم. وَكَانَتْ قريش تعلمهم مَناسكَهم وتحكُمُ بَيْنَهم»[٥٥].وسجل لنا التاريخ بما لا يدع مجالا للشك ولفترة قريبة من ظهور الإسلام أنّ قريشاً كانت تعبد أصناماً من حجرٍ وتمرٍ وسدنة الكعبة كانوا في الأزل قبيلة خزاعة واشتراها منهم قصي بن كلاب بزقِ خمر، إذ قال الشاعر:

باعت خُزَاعَة بَيت اللّه إِذْ سكرت ... بزق خمر فَمَا فازت وَلَا ربحت[٥٦].

ويكفي نظرة يسيرة على كتب السير والتاريخ في تلك الفترة ليعرف كيف كان دين قريش ونظرة أخرى على بعض الآيات التي تخص مناسك الحج، ومنها قوله تعالى: {فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّن عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ} [البقرة: ١٩٩-٢٠٠]. ليعرف أي دين كانوا عليه، وما التعليمات التي تقوم بها قريش لتعلم القبائل الأخرى مناسك الحج(٥٧).

الأدب ولهجة قريش:

أمّا من ناحية الأدب فقد اشتهر بين الكتاب أنّ الشعر الجاهلي كتب بماء الذهب أو علق على أستار الكعبة ولست أأتي بجديد فقد تطرق إلى هذا الموضوع أعمدة الكتاب العرب وغيرهم من المستشرقين أمثال عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين والمستشرق الانكليزي مرجليوث وبعض النقاد العرب وقالوا بصناعة الشعر الجاهلي في العصر الاسلامي ولهم في ذلك حججهم وللمعترضين أيضا حججهم، ولا أريد هنا أن أنقض أو أثبت ما تطرقوا له، فقد ذهب الباحثون في هذا الصدد طرائق قددا، لأنّ المعروف عن نقلته أنهم كتبوا ودونوا الرواية في أواخر العصر الأموي كما ذكرنا آنفا، إذ غابت الأمانة العلمية في النقل لأسباب قد تكون الأموال التي تعطى للراوي أو التعصب القبلي أو دعم ايدلوجيا حزب أو حجة لغوية باعثها المال أو الشهرة، وقد أثار التساؤلات والشكوك حول الشعر الجاهلي الدكتور طه حسين في كتابه: (في الأدب الجاهلي)، إذ يقول: «فالرواة مجمعون على أنّ قبائل عدنان لم تكن متحدة اللغة ولا متفقة اللّهجة قبل أن يظهر الإسلام فيقارب بين اللغات المختلفة ويزيل كثيرا من تباين اللّهجات...»(٥٨)، ثم يقول بعد ذلك وهو بيت القصيد في هذا البحث: «ولكننا لا نرى شيئاً من ذلك في الشعر العربي الجاهلي، فأنت تستطيع أن تقرأ هذه المطولات أو المعلقات التي يتخذها أنصار القديم نموذجا للشعر الجاهلي الصحيح، فسترى أنّ فيها مطولة لامرئ القيس وهو من كندة أي من قحطان، وأخرى لزهير، وأخرى لعنترة، وثالثة للبيد، وكلهم من قيس، ثم قصيدة لطرفة، وقصيدة لعمرو بن كلثوم وقصيدة أخرى للحارث بن حلزة وكلّهم من ربيعة، تستطيع أن تقرأ هذه القصائد السبع دون أن تشعر فيها بشيء يشبه أن يكون اختلافا في اللّهجة أو تباعدا في اللغة أو تباينا في مذهب الكلام، البحر العروضي هو هو، وقواعد القافية هي هي، والألفاظ مستعملة في معانيها كما نجدها عند شعراء المسلمين، والمذهب الشعري هو هو. كلّ شيء من هذه المطولات يدلّ على أن اختلاف القبائل لم يؤثر في شعر الشعراء تأثيرا ما...»(٥٩).وإذا كان هذا حال المطولات أو المعلقات في الأدب العربي ليس لها تأثير على بنية اللغة العربية مع أنّ شعراءها من أصقاع شتى فأنى تكون لغة قريش هي اللغة التي اختارها اللّه لكتابه العزيز وهي التي سادت الجزيرة العربية والذي لا ريب فيه أنّ الشعر الجاهلي أو لنقل الأدب هو نتاج بيئة أهله وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية والعقلية، «ولمّا كان الأدب تعبيرا عن البيئة والإنسان، فقد جاء الأدب الجاهلي ابن بيئته يمثلها في الفطرة والبداهة الشائعتين في أغراضه ومعانيه ولغته وتصاويره، وكان الشاعر في هذا العصر لا يحاول تأليف معانيه، وإنّما يرسلها إرسالا يخلو من الترتيب»(٦٠). فنحن لا نعدو الواقع إن قلنا: إنّ لهجة قريش حالها حال اللّهجات أو اللغات الأُخر، وهي إحدى تفرعات اللغة العربية فلا أفضلية ولا مزية ولا أكملية لها على باقي تلك اللهجات أو اللغات، بل ما أتى به بعض العلماء لا يصمد أمام النقود التي تطرقت إلى أكملية لغة قريش، وتلك السيمفونية التي يتداولها الباحثون اليوم وضع أُسّها أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) عندما قال: «أجمَعَ علماؤنا بكلام العرب، والرُّواةُ لأشعارهم، والعلماءُ بلُغاتهم وأيامهم ومَحالّهم أن قُرَيشاً أفصحُ العرب ألْسنةً وأصْفاهم لغةً»(٦١). وقد كفانا الدكتور جواد علي مؤونة الرد على ابن فارس بقوله: «ثم إني لم أتمكن من العثور على هذا الإجماع الذي أجمع العرب كافة عليه، والذي لم يعارضه أحد حتى من الشعوبيين والحاقدين على قريش، وإنما وجدت القرآن، وهو خير الشاهدين يقول: {وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل: ١٠٣]... {وإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف: ٢]»(٦٢).لم يقتصر الأمر على ابن فارس فقد تبعه آخرون بأن لهجة قريش أو لهجتها هي أفصح اللّهجات العربية وأصفاها ومن أشهر هؤلاء الباحثين: الفارابي (ت ٣٣٩هـ)، وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) ويؤيدهم من المحدثين الأستاذ لطفي جمعة، والدكتور شوقي ضيف فهم يرون أنها اللغة الفصحى من بين لهجات القبائل العربية، وأنّها هي التي سادت في المجال الأدبي فأصبحت لغة الأدب والفصاحة قبل ظهور الإسلام بزمن، ويقولون إنّ القرآن نزل بها، ذلك أنه هو -أي القرآن الكريم- يمثل العمود اللغوي، وبما أن القرآن قد أُوحي إلى محمد «صلى اللّه عليه وآله وسلم» سليل قريش المكية. فالقرآن إذن نزل بلغة قريش، ولهذا كان العمود اللغوي الذي يجب أن يحتذى هو في لهجة القبيلة المذكورة.

وقال أبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ) في أول كتابه المسمى بـ(الألفاظ والحروف): «كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعا، وأبينها إبانة عما في النفس»(٦٣).وما ذكرهُ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) في المزهر عن الفارابي هي نظرة فلسفية لم يسندها دليل ولم يعضدها واقع أو تعليل؛ «فإن العلماء الذين حفظت أقوالهم ومؤلفاتهم منذ الخليل بن أحمد

(ت ١٧٠هـ) وسيبويه (ت ١٨٠هـ) وحتى اليوم يستشهدون بأشعار كلّ القبائل العربية التي ذهب الفارابي إلى أَنَّهُ لم يؤخذ عنها، وقد أحصى الدكتور خالد عبد الكريم جُمعة القبائلَ التي استشهدَ سيبويه بشعر شعراءِها فوجدَها ستا وعشرين قبيلةً، ومنها القبائل التي نصَّ الفارابي على عدم الاحتجاج بشعرها»[٦٤].يعلل ابن فارس تفوق لغة قريش على ما عداها: «وكانت قريش مع فصاحتها، وحسن لغاتها، ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب»[٦٥]. فهو كلام مرسل لا يصمد أمام التساؤلات التي لم نجد لها إجابات سواء في هذا النص أو في غيره فضلا عن ذكره أسباباً أخر قال: إنّها جعلت السيادة للهجتها وهي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولأنّها الأفصح فهي تخلو من العيوب مثل: العنعنة والكسكسة والطمطمانية والكشكشة ووو...[٦٦]. مع أنّ بعضها ثبت بالدليل أنّها ليست بعيوب مثل لفظة: (عليش)، والمقصود بها (على أيّ شيء). وفي مقابل الفارابي وابن فارس وغيرهما يُدلي الأخفش (ت ٢١٥هـ) برأي هو أقرب للواقع ويمكن الركون إليه والاطمئنان له في قبوله للغات العرب ولهجاتها جميعا ويرآها الأصل الأول سواء في ذلك نقلها، أو في ما سمعه من العرب بنفسه أو ما رواه عمن سمع من العرب أو ما لم يسمعه أو يروه وإنما وجد له تعلة فحسب يتعلل بها لقبوله من قراءة شاذة ونحو ذلك.وقد قبل هذه اللّغات كلّها سواء أكانت مما يقبله قومه البصريون أم يرفضونه، وهو بهذا يجدد في موقفه ويخرج عن النمط التقليدي المحافظ لقومه ليقف مع الكوفيين في اتجاههم العام إلى الاحتجاج بكلّ لغة مهما كانت درجتها من الفصاحة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على عدم تعصبه لأهل بلده الذين هم على منوال واحد دافعوا عن لهجة قريش، وللتدليل على قول الأخفش اضرب لذلك مثالا: «جاء نزول القرآن بنبر الهمزة دليلا على أنّ اللغة المثالية كانت قبل الإسلام قد استحسنت في هذا لحن تميم فاقتبسته واتخذته صفة من صفات نطقها الفصيح...»[٦٧]. كما في قوله تعالى {أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ} [البقرة: ٣١]، ولغةُ قُرَيْشٍ تركُ الهمزِ، فيقولون: أَنْبُونِي[٦٨].وأمّا قولهم: إنّ لغة قريش هي الفصحى والأفصح، لإجماع العرب على أنّها لغة القرآن وبها نزل، وعدم ظهور أحد أنكر هذا الإجماع، أو جادل فيه، على الرغم من الخصومات السياسية التي كانت بين قريش وغيرها من قبائل العرب[٦٩]. «فقول لا يستند إلى حجج تأريخية جاهلية، بل هو يصطدم مع واقع النصوص الجاهلية الواصلة إلينا، وبعضها نصوص لا تبعد عن الإسلام بكثير، وقد كتبت كلها بلهجات تختلف عن هذه اللّغة الفصحى التي نزل بها القرآن، وفي اختلافها عنها دلالة، على أنّ الشعوب التي تثبت تلك النصوص لم تكن تكتب بعربية القرآن»[٧٠]. وفي هذه الدلالة تفنيد لقول من قال: «إنّ لهجة قريش هي الفصحى التي عمّت وسادت في الجاهلية لا في الحجاز ونجد فحسب، بل في كلّ القبائل العربية شمالاً وغرباً وشرقا، وفي اليمامة والبحرين، وسقطت إلى الجنوب وأخذت تقتحم الأبواب على لغة حمير واليمن، وخاصة في أطرافها الشمالية حيث منازل الأزد وخثعم وهمدان وبني الحارث بن كعب في نجران»[٧١]. ويقترب إسرائيل ولفنسون أكثر من الواقع والمنطق في قوله من أنّ «اللغة العربية الموجودة الآن مزيج من لهجات كثيرة مختلفة اختلط بعضها ببعض وامتزج امتزاجاً شديداً حتى صار لغة واحدة بعد أن فُني أصحاب اللّهجات وبادوا...»[٧٢]. ولو اكتفى بهذه العبارة لكان أكثر منهجية ومنطقية إلا أنّ تفصيله بعد ذلك أخرجه عن العلمية التي تعضدها الأدلة والشواهد التأريخية.

خاتمة البحث

نسأل اللّه حسن الخاتمة إن وفقنا لإتمام هذا البحث وإنجازه.

أهم نتائج البحث:وقسمت النتائج إلى قسمين قسم يتعلق بالبحث مباشرة والآخر يرتبط بالبحث لكن بصورة غير مباشرة، فمن نتائجه المباشرة هي:

- أنّه ألقى الضوء على ما نسب إلى الرسول الكريم صلى اللّه عليه وآله ونبه على إزاحته خدمة للاجيال المقبلة ولتبقى صورته ناصعة وسيرته عبقة لا تشوبها شائبة، وهذا الحرص على تحقيق تلك الصورة الناصعة هو ثمرة كبرى في طريق جمع كلمة المسلمين.
- اثبت البحث إننا أمام تناقض ظاهر وهو أما أن نسلم بالرسم القرآني وان القرآن نزل بلغة قريش أو اننا نرفض ذلك ونقر بالقراءات السبع او العشر التي قيل عنها هي تسهيل من الرسول (صلى اللّه عليه واله) للمسلمين.
- أهمية البحث في كتب التراث الإسلامي وذلك بما تضمنه هذا التراث من علوم غزيرة نافعة كانت ثمرة لجهود عظيمة مشكورة لسلفنا الصالح رحمهم اللّه تعالى، وأبراز هذا التراث من خلال البحوث والتنقيب فيها وعدم الوقوف عند حوادث معينة وأخذها كأنها مسلمات.
- الاهتمام بتأريخ اللغة العربية وعدم الاتكال على ما كتبه من سبقنا من الباحثين المحدثين أو المستشرقين في تراثنا ربما جانب الصواب بعضهم وقد يكون عدم الاطمئنان إلى من هم من غير المسلمين واعني هنا المستشرقين.

– بيان مواطن العلاقة بين الرسم القرآني ولهجات العرب سواء قبل نزول القرآن الكريم أو بعده وما الأسباب التي دعت إلى يكون رسم القرآن غير ما هو يلفظ في لغتنا العربية.**أمّا ما يترتب على هذه النتائج وهي التي يمكن ان تكون توصيات فهي :**

– لا شك أن تأهل الباحث العلمي الجيد، ومثابرته في طلب العلم ومراعاته للصفات الذاتية في شخصيته من الإخلاص والصدق، والتقوى، وحسن الخلق، والشعور بالمسؤولية، وأداء واجبه بأمانة، ينعكس ايجابا على ما يقوم به في وظيفته لاسيما اذا كانت تربوية.

– أن يكون تعليم الجيل، التربية العلمية العملية التي ترتضيها فطرتنا السليمة، وبما يخدم دينهم ودنياهم لا يكون الا بفضل رجال باحثين عارفين بحاجة الأمة، وقادرين على نقل تجاربهم الذاتية إلى الآخرين في مجالات الحياة ومنها العملية التربوية.

– الاستمرار في البحث يعدّ مبدأ الثبات والمواظبة والصبر على طلب العلم، والتزود منه من صفات التربوي الكفء والناجح؛ لأن سلَّم التعلم لا منتهى له، فلا يحدُّ بمرحلة دراسية، ولا بشهادة علمية، ولا بسنوات عمرية. ومما يلحظ في جانب التعليم أن التربوي لا يكون مؤثراً إلا إذا كان مليّاً بالعلم، مجدداً في عطائه لطلابه، ولا غرو أن التعليم المتين سينتج طلاباً أكفاء.

– إن جهل التربوي بما يطرح في الساحة الثقافية من بحوث أو ندوات أو نتائج حديثة، سيؤول إلى استبداده برأية الشخصي وما ورثه من أساليب قديمة وربما عقيمة عفى عليها الدهر، قد تكون سببا مباشراً في تعويق العملية التربوية.

– تحمل المصاعب والمتاعب في انجاز البحوث هو ثمرة صبر يحقق له الحصول على نتائج طيبة في العملية التربوية حيث اعطت أكلها من خلال ما يعكس على محيطه لأجل غايته النبيلة وحصد ثمرة جهده.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين..

الهامش

١– التاريخ الكبير للبخاري تح الدباسي والنحال: ١/ ١٥.

٢– السنة لابن أبي عاصم ومعها ظلال الجنة للألباني: ٢/ ٣٣٠.

٣– الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية: ١٠٧.

٤– الموضوعات لابن الجوزي: ١/٩.

٥– فجر الإسلام: ١٠٣.

٦– الصاحبي في فقه اللغة: ٢٨.

٧– شرح التسهيل لابن مالك: ٢/ ٣١٤.

٨– ينظر: ديوانه: ٣٢. اللمحة في شرح الملحة: ١/ ٤٥٩. والدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع: ٢/ ١٤٠.

٩– المزهر في علوم اللّغة وأنواعها: ١/ ١٦٧.

١٠–مناهل العرفان: ١ /٣٧٠.

١١–التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل: ١/ ٢٠٠ ط المكتب الإسلامي.

١٢–شرح شذور الذهب للجوجري: ١/ ٩٥.

١٣–البخاري: ٦/ ٢٢٤.

١٤–موجز دائرة المعارف الإسلامية ٢٦/ ٨١٧٣.

١٥–شفالي (فى كتابه عن تاريخ القرآن: ٥٧ – ٦٢).

١٦–بهجة المحافل وبغية الأماثل: ٢/ ٤٢.

١٧–ينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ٥/ ٣٨٥.

١٨–مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح :٩١.

١٩–تأويل مشكل القرآن : ٤٠.

٢٠–ينظر: البرهان: ١/ ٣٧٦.

٢١–ينظر: دليل الحيران على مورد الظمآن: ٣٦. لسان العرب: ١٢/ ٢٤٢. العين: ٧/ ٢٥٢. «باب السين والراء والميم».

٢٢–ينظر: تنبيه الخلان بتكميل مورد الظمآن: ٤٧٥.

٢٣-ينظر: دليل الحيران على مورد الظمآن: ٦٣.

٢٤-التفسير والمفسرون: ١ / ١٣٣.

٢٥-الذهب الإبريز:٥٨، ومختصر التبيين لهجاء التنزيل:٢٠١/١، ومباحث في علوم القرآن:٢٧٦.

٢٦-المصدر نفسه.

٢٧-مختصر التبيين لهجاء التنزيل: ١/ ٢٣٣. ينظر: روح المعاني ١٩/ ١٨٥.

٢٨-انيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء: ٦١.

٢٩-ينظر: صبح الأعشى: ١/ ٨١. والمصباح المنير مادة (كتب)، ومغني المحتاج: ٦ / ٤٨٣.

٣٠-ينظر ادب الكاتب : ١٨٣-١٨٩. وكتاب الكتاب : ١٦، والهجاء : ٤٣. البرهان : ٣٧٦/١.

٣١-ينظر: الفهرست: ٧ ، ادب الكتاب : ٢٩. ابحاث في رسم المصحف : ١٠ .

٣٢-مناهل العرفان في علوم القرآن: ١/ ٣٨٣، مباحث في علوم القرآن: ٢٧٦- ٢٧٧.

٣٣-الصحاح في اللغة والعلوم: ٤٧٤٩.

٣٤-مجمل اللغة لابن فارس: ٧٩٦.

٣٥-مقاييس اللغة: ٥/ ٢١٥. العين: ٣/ ٣٩١.

٣٦-إصلاح المنطق: ١٣١.

٣٧-سنن ابن ماجه تح عبد الباقي: ١/ ٥٥، والطبقات الكبرى – ط دار صادر: ٤/ ٢٢٨.

٣٨-تهذيب اللغة: ٦/ ٣٦.

٣٩-ينظر لسان العرب مادة (لغو).

٤٠-ينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: ٤٣٠.

٤١-ينظر: دراسات في اللغة العربية : ١٦.

٤٢-المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: ١٦/ ١٨٤.

٤٣-الحديث في علوم القرآن والحديث: ١٠٥.

٤٤-نوادر الأصول في أحاديث الرسول: ٣/ ٢٦٠. وتفسير الثعلبي: ١٠/ ٧٢.

٤٥-المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٧٤/١٧- ٣٧٥.

٤٦-الأدب الجاهلي: ١٠٥.

٤٧-المفصل فى تأريخ العرب قبل الإسلام: ١٦/ ٢٧٧. شرح نقائض جرير والفرزدق: ٧٩١/٣.

٤٨-بحار الأنوار: ٢٢٤/٢٩. شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٥٠.

٤٩-في تاريخ الأدب الجاهلي ١٠١.

٥٠-ينظر: الرسائل السياسية: ٤١١. وسيرة ابن هشام تح السقا: ١/ ١٣٦، العين: ١/ ٢٣٣ «ع.ج.ف». والصحاح: ٤/ ١٣٩٩«عجف». ومغازي الواقدي: ٣/ ١٠٠٢.

٥١-الرسائل السياسية: ٤٦٢.

٥٢-نسب قريش : ٣٢٩.

٥٣-ينظر: شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٥٠. الرسائل السياسية: ٤١٣ – ٤١٤.

٥٤-تاريخ الطبري: ٢/ ٢٦٤.

٥٥-الصاحبي في فقه اللغة العربية: ٢٨.

٥٦-ينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ١٣٥.

٥٧-ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١٨/ ١١٢.

٥٨-في الأدب الجاهلي: ٩٦.

٥٩-المصدر نفسه.

٦٠-شرح المعلقات السبع للزوزني: ٨.

٦١-ينظر: الصاحبي في فقه اللغة: ٢٨.

٦٢-المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: ١٦/ ٢٧٤- ٢٧٦.

٦٣-المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١/ ١٦٧.

٦٤-الشاهد الشعري في تفسير القرآن: ١١٣. ينظر: شواهد الشعر في كتاب سيبويه: ٢٧٣ – ٣٠٣.

٦٥-الصاحبي في فقه اللغة: ٢٩

٦٦-ينظر المصدر نفسه ، في تاريخ الأدب الجاهلي: ١٠٠.

٦٧-ينظر: دراسات في فقه اللغة: ٧٨.

٦٨-كتاب فيه لغات القرآن: ٢٢.

٦٩-الأدب الجاهلي طه حسين: ١٠٥.

٧٠-المفصل في تاريخ العرب: ١٦/٢٧٤.

٧١-تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف: ١/ ١٣٤. دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة: ٩٨.

٧٢-تاريخ اللغات السامية ولفنسون: ١٦٦، ١٦٧. دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة: ١٠١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

١- الإحكام في أصول الأحكام: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ)، حققها: الشيخ أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٢- أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار: محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرقي (ت ٢٥٠هـ)، المحقق: رشدي الصالح ملحس: دار الأندلس – بيروت.

٣- الأدب الجاهلي: طه حسين. الطبعة الثالثة القاهرة ١٣٥٢هـ- ١٩٣٣م.

٤- إصلاح المنطق: ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ)، المحقق: محمد مرعب، الناشر: دار إحياء التراث، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٠م.

٥- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء: قاسم بن عبد الله بن أمير علي الحنفي (ت ٩٧٨هـ) المحقق: يحيى حسن مراد: دار الكتب العلمية، الطبعة: ٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ.

٦- بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي " قدس اللّه سره" مؤسسة الوفاء بيروت – لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٧- البرهان في وجوه البيان: أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، المحقق: د. حفني محمد شرف، الناشر: مكتبة الشباب والرسالة، القاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م.

٨- بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل: يحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى العامري (ت ٨٩٣هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: ب.ت.

٩- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت.

١٠- تاريخ الأدب العربي: د. شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ - ١٩٩٥ م.

١١- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثانية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

١٢- التاريخ الكبير: الإمام أبو عبد اللّه محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق: محمد بن صالح بن محمد الدباسي، الناشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م .

١٣- تاريخ اللغات السامية: إسرائيل ولفنسون الناشر مطبعة الاعتماد الطبعة الاولى ١٣٤٨هـ- ١٩٢٩م.

١٤- تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٥- التفسير اللغوي للقرآن الكريم: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ.

١٦- التفسير والمفسرون: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت ١٣٩٨هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

١٧- تنبيه الخلان بتكميل مورد الظمآن: أبو محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأنصاري الأندلسي (ت ١٠٩٠هـ)، الناشر: دار الحديث ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٨- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل: عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد اليماني (ت ١٣٨٦هـ) الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٩- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٢٠- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، الناشر: دار المعارف – القاهرة.

٢١- الحديث في علوم القرآن والحديث: حسن محمد أيوب (ت ١٤٢٩هـ)، الناشر: دار السلام – الإسكندرية، الطبعة: الثانية،١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٢- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.

٢٣- الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية: احمد حسين يعقوب الناشر: دار الفجر لندن – المملكة المتحدة، الطبعة الثانية – رجب ١٤١٥هـ.

٢٤- دراسات في فقه اللغة: د. صبحي إبراهيم الصالح (ت ١٤٠٧هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

٢٥- دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة: إبراهيم محمد أبو سكين.

٢٦- الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع: شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (٨١٢ - ٨٩٣ هـ)، المحقق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، الناشر، المدينة المنورة – السعودية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢٧- دليل الحيران على مورد الظمآن: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التونسي المالكي (ت ١٣٤٩هـ)، الناشر: دار الحديث- القاهرة.

٢٨- ديوان النابغة الذبياني : تحقيق عباس عبد الساتر، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٢٩- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس.

٣٠- الذهب الإبريز لابن المبارك: طبعة: عبد السلام بن محمد بن شقرون طبعة حجرية.

٣١- الرسائل السياسية: عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت.

٣٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣٣- سنن ابن ماجه: أبو عبد اللّه محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٣٤- السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.

٣٥- الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره: د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري، الناشر: مكتبة دار المنهاج، الرياض السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ.

٣٦- شرح المعلقات السبع: حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبو عبد اللَّه (ت ٤٨٦هـ)، الناشر: دار احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٧- شرح تسهيل الفوائد: محمد بن عبد اللَّه، ابن مالك الطائي (ت ٦٧٢هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، الناشر: هجر، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

٣٨- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري (ت ٨٨٩ هـ)، المحقق: نواف بن جزاء الحارثي، الناشر، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٤ م.

٣٩- شرح نقائض جرير والفرزدق: أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد إبراهيم حور - وليد محمود خالص، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

٤٠- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار احياء الكتب، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م.

٤١- شواهد الشعر في كتاب سيبويه: خالد عبد الكريم جمعة، الدار الشرقية الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٤٢- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أحمد بن فارس بن زكرياء (ت ٣٩٥هـ)، الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٤٤- الصحاح في اللغة والعلوم: إعداد: نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، تقديم: العلايلي.

٤٥- الطبقات الكبرى: ابن سعد، قدّم لها: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.

٤٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العينى (ت ٨٥٥ هـ)، علق عليه محمد منير عبده أغا، و(دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر) - بيروت.

٤٧- فجر الإسلام: ١٠٣. تأليف: احمد أمين، الناشر: مطبعة الاعتماد بمصر الطبعة: ١٣٤٧هـ-١٩٢٨م.

٤٨- في تاريخ الأدب الجاهلي: علي الجندي، الناشر: مكتبة دار التراث، الطبعة: طبعة دار التراث الأول، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٤٩- كتاب السنة: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧هـ) الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٥٠- كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٥١- كتاب فيه لغات القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد اللَّه بن منظور الفراء (ت ٢٠٧هـ)، ضبطه وصححه: جابر بن عبد اللَّه السريع، عام النشر: ١٤٣٥هـ.

٥٢- الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي) : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٥٣- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٥٤- اللمحة في شرح الملحة: محمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، المعروف بابن الصائغ (ت ٧٢٠هـ)، المحقق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، الناشر، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٥٥- مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط٢٤/ ٢٠٠٠م.

٥٦- مجمل اللغة لابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.

٥٧- مختصر التبيين لهجاء التنزيل: أبو داود، سليمان بن نجاح بن أبي القاسم (ت ٤٩٦هـ)، الناشر: مجمع الملك فهد – المدينة المنورة: ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

٥٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، المحقق: فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٥٩- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٦٠- المغازي: محمد بن عمر بن واقد السهمي، أبو عبد اللَّه، الواقدي (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٠٩/١٩٨٩م.

٦١- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي (ت ١٤٠٨هـ)، الناشر: دار الساقي، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٦٢- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.

٦٣- موجز دائرة المعارف الإسلامية ، تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، ترجمة / نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، الناشر: مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

٦٤- الموضوعات: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى.

٦٥- نسب قريش: مصعب بن عبد اللَّه بن مصعب بن ثابت بن عبد اللَّه بن الزبير (ت ٢٣٦هـ)، المحقق: ليفي بروفنسال، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة: الثالثة.

٦٦- نوادر الأصول في أحاديث الرسول (صلى اللَّه عليه واله وسلم): محمد بن علي بن الحسن بن بشر الترمذي (ت نحو ٣٢٠هـ)، المحقق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت.

٦٧- الوجوه والنظائر: أبو هلال الحسن بن عبد اللَّه بن سهل بن سعيد العسكري (ت ٣٩٥هـ) حققه: محمد عثمان، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.